

جماليات التشكيل اللغوي في ديوان "رحلة في عيون الشوق"
لعبد المجيد الفرغلي

aesthetics of lingual constitution in poems "trip in longing eyes" The poet abdelmadjid farghrli

نور الدين مزروع¹

Nour aldin Mazroua¹

¹ جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)

البريد الإلكتروني : nouraldinmazroua1987@gmail.com

تاريخ النشر: 2022-01-30	تاريخ القبول: 2021-07-26	تاريخ التحكيم: 2021-07-22	تاريخ الإرسال: 2021-07-18
-------------------------	--------------------------	---------------------------	---------------------------

ملخص البحث

من يتأمل خطاب "عبد المجيد فرغلي" يجد أنه يتضمن جماليات لغوية وأسلوبية عديدة، تختبئ وراء بنيته وألفاظه وأدائه المميز، ولعلّ هذا المقال يكشف بعض ما تميّز به خطاب "فرغلي" من خلال توظيفه مختلف التشكيلات اللغوية التي استطاع بها أن يعبر عن كثير من موضوعاته الوجدانية وتجربته الشعرية.

الكلمات المفتاحية : جماليات؛ التشكيل؛ ديوان؛ فرغلي

Abstract:

Whoever contemplates the speech of "Abdul-Majid Farghali" will find that it includes many linguistic and stylistic aesthetics, which hide behind its structure, its words, and its distinctive performance. Emotional and poetic experience

Keys words: Keyword :aesthetics, constitution, poems, FARGHII

مقدمة:

من المعروف « أن الشعر ظاهرة لغوية في وجودها، ولا سبيل إلى التّأني إليها إلاّ من جهة اللّغة التي تتمثل بها عبقرية الإنسان وتقوم بها ماهية الشعر»¹، فالشعر باعتباره فنّ أداته الكلمة، وجوهره الكامل وسرّه الفني متمكّن في اللّغة، ابتداء من الصوت، ومرورا بالمفردة وانتهاء بالتركيب².

وإذا تعمنا في لغة الشاعر المبدع ومكوّناتها الفنيّة نجد أنها تختلف اختلافا بيّنا عن لغة الحياة اليومية، فالشاعر حين يستخدمها فهو ينفي عنها قيمتها العادية المعهودة، ويكسبها قيما جديدة، يحاول بشتى الوسائل أن يعيدها عن ميدان النشر وعن قيمتها فيه، فينظمها ويشكّلها تشكيلا لغويا وفنيا خاصا.

ولما كان الشاعر في أغلب أحواله يخاطب العاطفة ويستثير المشاعر والوجدان، فقد وجب له أن يتخير ألفاظه من خلال تركيب كلماته ثم اختيار الايقاع الموسيقي المناسب من خلال توالي مقاطعه، وانسجامها بحيث تتردد ويتكرر بعضها فتسمعه الأذان موسيقى ونغما منتظما، فيشكل الشاعر بذلك لغة شعرية بكل رموزها ومقوماتها ونغماتها³.

جماليات التشكيل اللغوي في ديوان رحلة في عيون العشاق لعبد المجيد الفرغلي الدكتور: نور الدين مزروع

واللغة الشعرية في الحقيقة تؤدي دورا هاما في عملية الابداع الشعري؛ لأنها أداة الشاعر في صياغة تجربته الفنية، فالتجربة الشعرية « في أساسها لغة، فالشعر هو الاستخدام الفني للطاقت الحسية والعقلية والنفسية والصوتية للغة، ولغة الشعر هي الوجود الشعري الذي يتحقق في اللغة انفعالا وصوتا وموسيقى»⁴.

ومن ثمّة، فإن الشعر هيكل متكامل تلعب فيه اللغة الدور المباشر في عملية الإبداع الفني للتجربة الشعرية؛ وذلك لأنها أداة التعبير التي بها يفصح الشاعر عما يشعر به ويحسّه ويعطي الجمالية والحوية للنسيج المتكوّن من الألفاظ والتراكيب ذات مدلولات معنوية مرتبطة بانفعالات الشعر وشعره الداخلي وطبعه والظروف المحيطة به، فضلا عن قدرته الفنية التي تظهر من خلال انتقاء اللفظة المناسبة ووضعها في بيئتها المنسجمة والمؤتلفة، مع ما يحيط بها من ألفاظ وأصوات ممتزجة مع معانيها⁵. وبذلك يتحقق البعد الجمالي للغة، عن طريق التشكيل اللغوي الذي طالما ظلّ يبحث عليه الشاعر لمناسبة عواطفه وأبعاده النفسية.

كما « تعد الرسالة الشعرية حصيلة لغة خاصة وشكل صائت يرتبطان بظاهرة إعلامية ملموسة ويشملان مظهرين متميزين، المظهر الدلالي والمظهر الجمالي، ويعتبر الاعتراف بهاذين المظهرين ودراستهما وتحديد خصائصهما من أسس الإعلام للتلقي الجمالي التي تنحو إلى توسيع ميدان الإعلام العام ليشمل هذه الرسالة الدقيقة التي لا تقتصر أهميتها على المعلومات التي تقدمها ولكنها تشمل مجموعة من التأثيرات الفنية الأخرى»⁶، بالإضافة إلى ما تتمتع به اللغة الشعرية من تشكيل لغوي فني، يزيد من جمالها، وتقوية معناها.

ولعلّ هذا كلّ ما نسعى إليه من خلال دراسة فنية تحليلية "في الموضوع الموسوم بـ: "جماليات التشكيل اللغوي في ديوان "رحلة في عيون الشوق" للشاعر عبد المجيد «فرغلي»، محاولين الكشف عن الاستراتيجية التي تناولها الشاعر في ديوانه وما انطوى عليه من مختلف الأغراض وبعض التشكيلات اللغوية التي حفلت بها قصائده؛ وذلك من ناحية المعجم الشعري ودلالته، وبعض الظواهر الأسلوبية اللغوية، كالتناص، والانزياح بشكليته: التركيبي والصوري.

*** التشكيل اللغوي ودوره في بناء المعنى وجمال الصورة:**

أولا: التشكيل اللغوي في بناء المعنى:

إن أوّل ما يثير انتباه القارئ الذي يتمعن في اللغة الشعرية المستخدمة للشاعر العملاق «عبد المجيد فرغلي»⁷، لا سيّما في ديوانه "رحلة في عيون الشوق" نلفي أنّه اعتمد على حقل دلالي مميز، وهذا ما سنكتشفه في هذا الديوان.

1. المعجم ودلالته:

والحق في معالجتنا لبعض قصائد الشعر في هذا الديوان، لاسيما وأن قد تناول فيه غرضا واحدا ألا وهو الغزل، وبعض الموضوعات الاجتماعية والوطنية والإخوانية، نلاحظ أنه يوافق ما آل إليه النقاد في اللغة الشعرية وما اشترطوه فيها من السلاسة والسهولة، والتلاؤم بين اللفظ والمعنى، وذلك من خلال توظيف الكلمات توظيفا مناسباً معبّرا عن تجربته الشعرية.

ولما كان « لكل خطاب معجمه الخاص به، إذ الشعر الصوفي معجمه، والمدحي معجمه»⁸، فإن «فرغلي» في قصائده الوجدانية ذات الموضوعات المتنوعة حاول أن ينتقي اللغة الشعرية المناسبة من حيث المعجم الشعري والحقل الدلالي الخاص له.

**جماليات التشكيل اللغوي في ديوان رحلة في عيون العشق لعبد
المجيد الفرغلي
الدكتور: نور الدين مزروع**

ولعلّ في قصيدته " الطبيعة عالمي " تمثل أروع القصائد المنتقاة من معجم الطبيعة، بل كل الألفاظ والمعاني تصبّ في ما يتعلق بالطبيعة، يقول وهو مفتتن بجمال الطبيعة⁹:

أنا فوق أطراف النخيل	أرئو إلى شطّ الأصيل
حيث ارتقى الشفق الجميل	لعل على سنا وادي النخيل
حيث الغروب الحلو من	شمسٍ لمغربها تميل
أحبب بها من لوحة	مزجت مع الذهب الأصيل
في بسمة عطريّة	من شهقة الهمس العليل

وأمام وقفنا مع شعر «عبد المجيد فرغلي»، لاسيما مع هذه القصيدة التي يصريح في عنوانها "الطبيعة عالمي"، اتضح لنا أن الشاعر غني بعنصر من عناصر الجمال الذي لا يتنازع فيه اثنان وهو ما يتعلق بالطبيعة ومفاتها، فقد تناول عدة ألفاظ لا تخرج عن معجمها مثل: (النخيل الشفق الجميل، وادي النخيل، الغروب، الشمس)، وكل هذه المفردات من شتى المناظر تكون الطبيعة وتشارك فيها، مما توحى بحقل دلالي خاص بها ألا وهو: "الجمال"، ولكن إذا وصل الشاعر إلى مرحلة معينة من الحب والتعلق، تتمتع نفسه مع روح الطبيعة، وهذا ما جسّدته الأبيات التالية¹⁰:

عشق الطبيعة قادي	يمشاعر الشغف النيل
روح الطبيعة قد سارت	من لي بنجواها ينيل
إن الطبيعة غادي	ألعلتي هل من مزيل؟
مرض عشقت مذاقه	وألفته إلف الزميل

فالشاعر في هذه القصيدة يذكرنا بالشاعر الصوفي وامتزاج روحه مع الذات الإلهية، والوصول إلى ما يسمى بالعشق الإلهي، والشيء ذاته عند شاعرنا، فقد مزجت روحه مع روح الطبيعة، ليختار مفردات خاصة (شغف عشق، روح الطبيعة، ألفته) التي توحى بدرجة كبيرة من المحبة وشدّة التعلق.

ولعل أجمل وأروع ما تركه «فرغلي» في غرضه الخاص بالوطن، لا سيما مع قصيدته الرائعة " إلى أمي الحبيبة مصر"، هذه القصيدة التي نظمها حين كان مسافرا إلى ليبيا الشقيقة، وأثناء ساعة رحيله تحركت قريحته الشعرية اتجاه وطنه الغالي مصر، حيث استهلّها بهذا المطلع الرائع من الأبيات، قوله¹¹:

هواؤك من عزف الرياحين أطيب	وماؤك من ماء الفاراديس أعذب
ونيلك يا مصر الحبيبة سلسل	يميس على شطيه زرع مذهب
ودوحك من حولي يصفق راقصاً	على جنبات الليل واللحن مطرب
تداعبه أيدي النسيم فينتشي	وإن مسّه عصف من الريح يصخب
لقد كان هذا لي يلوح ويغتيدي	وفيه أحاسيسي تمدّ وتجذب

إلى قوله¹²:

وهأنذا ماضي أدوق فراقها أراه كما لو كان يئكي وينحب
وهاهو ذا الدُّوحُ الملوَّحُ أذرعاً أراه كما لو كان يئكي وينحب
كأنِّي به أضحي يودّع راحلاً يذوب له شوقاً وبالدمع يسكب
ومن موضع الترحال سيّاري غدت تشقّ طريقاً ظلّ يعلو ويرسب

فالتأمل لهذا المقطع الشعري، يلحظ أن الشاعر قد استعان بمعجم الطبيعة التي طالما قد افتتن بها الشاعر، والذي كاد أن يسيطر على أغلب أبيات المقطع، بل على الديوان كلّ، وقد جسّد الشاعر فيها حقلين دلاليين متنوعين: "حقل الجمال" الذي أوحى بشغف الشاعر وحبّه لوطنه، ليلتفت إلى حقل دلالي آخر المتمثل في "الفراق" من خلال الكلمات الآتية: (أدوق فراقها يودّع، راحلاً، موضع الترحال)، مما أوحى بالجذوة المسعرة التي يعيشها الشاعر أثناء رحيله، وهذا ما يؤكد الروح الوطنية التي يتمتع بها الشاعر والاعتزاز بها.

وإذا كانت الطبيعة قد صوّرت نصف الجمال الكوني الذي رآه الشاعر، فإن المرأة عنده قد أكملت النصف الآخر؛ فالشاعر في ديوانه "رحلة في عيون الشوق" مفتتن بظاهرة الجمال سواء كان من الطبيعة أو المرأة، ولعلّ توظيف الشاعر بمفردات من معجم المرأة يؤكد حقيقة ذلك، ففي قصيدته حوار الجمال، يقول¹³:

أدنيّا الهوى عيناك والثغر نائر أم الوجه بدر من سنّ الحسن باهر؟
أم السحر في عينيك حباً سرّه وفي عقد جيد منك حقّت دوائر
هو الحسن قد صاغت يد الله سحره فما كان بدعا أن به هام شاعر
جوار الجمال لا يُباري مساره وليس له ممّا حوّه مناظر

وقال في قصيدة أخرى¹⁴:

جرى خمُرُ الجمالِ بوجنتيّها وقوسيّ حاجبٍ مثل الهلال

وقوله¹⁵:

رقد الجمالُ بجاني وكأّنه ملكٌ كريم
جمع المحاسن كلّها ما بين عطقيّه تقيّم
حوريّة من أفقها قد مرّقت ستر الغيوم

-وبناء على ما أشرنا إليه، وما نستشفّه من هذا الديوان؛ فإن معجم الغزل هو الفضاء الرحب الذي تنامي فيه الإحساس بالجمال والتعبير عنه، فضلاً عن الطبيعة التي احتضنت أغلب مفرداته الموحية بالجمال، لتزيد من أشعاره أبهةً وجمالاً، مما يوحي في الأخير رقة إحساس الشاعر وما وصل إليه من رقي جمالي في الذوق والحكم والوصف، ولكن سرعان ما تغلب عليه النزعة التشاؤمية، فيلجأ إلى معجم لغوي آخر تطفو عليه البنية الحزينة على السطح، على غيرها من البنيات الأخرى، مثل: (حيرة،

جماليات التشكيل اللغوي في ديوان رحلة في عيون العشاق لعبد
المجيد الفرغلي
الدكتور: نور الدين مزروع

اليأس، ضائع، النحس، أعاني)، وهذه الألفاظ لها مداليل ذات علاقة وطيدة بحقل التشاؤم، وبهذا عبّر الشاعر عما يختلج في نفسه وأبان في الوقت ذاته عن الأشجان التي بداخله والتي لم يجد لها دفعا أو إقصاء، يقول الشاعر¹⁶:

بحثتُ فلم أجِد نفسي	سوى في حيرة اليأس
مهيضٌ ضائعٌ عانٍ	بلا أملٍ ولا بأس
كأني أدخل الدنيا	بأبواب من النحس
أعاني ما أعانيه	ودهرٍ سائرٍ عكسي

وأمام كل هذا الإبداع الشعري الذي تمتعت هذه الشخصية الأدبية، إلا أن «عبد المجيد فرغلي» في عقده السادس يتعرض لقسوة التجاهل والنقد الغير البناء باعتباره أحد أعمدة القصيدة العمودية¹⁷، لكن هذا الأمر بث في قلبه روح التحدي، بنظمه قصيدة من الشعر الحر، يقول فيها¹⁸:

يا من تجاهلني
أأنت نسيت أن هنا مكاني؟
أنا لست في مكانٍ لا أرى فيه كياني
كيفَ الذهاب للذي خلفَ الذين عثوا بشاني
أنا لم أعد متطفلاً
بموائدٍ فيها امتهاني
أنا شاعرٌ في الشعر من أنا
وإذا نزلت يُشَوَّرُ بالبنان
وإذا غدوت يُشار إلى مكاني
فإذا جُحِدتَ مكانة، ونُسيتُ أو أنكرتُ قد
أظلفت من فرس عنابي
وزجرتها حيث يريدني
شرف الإباء لذي كياني

ومن حيث المعجم المستعمل في هذا المقطع الشعري، يتضح أن الشاعر غلبت عليه روح التحدي على سواها من خلال توظيف المفردات التالية (أنا، هنا مكاني، كياني، أنا شاعر)، بالإضافة إلى كثرة استخدام أساليب النفي والإثبات، وتكرار ضمير "أنا"، كل ذلك ساعد في ظهور حقل دلالي مميز ألا وهو "التحدي" ومن ثم إثبات الذات.

2. التناس:

من الظواهر المعروفة والمبادئ البديهية في الكتابة الشعرية والأدبية أنَّ الكاتب المبدع، شاعراً كان أم ناثراً، لا يستقل بلغة معجمها من وضعه ولا بأسلوب كل خصائصه من عنده، ولا يفكر هو منشئُه من العدم، وشعور هو أول مكابده والمتفرد بنبضه، تلك بديهة معروفة منذ القدم، فهي ليست محل جدل حيث أن النصوص الأدبية تتقاطع لغة وأسلوباً وشعوراً وفكراً، بقصد من أصحابها ووعي أو بغير قصد ولا وعي، وهذه العملية الأدبية تسمى بظاهرة التناس¹⁹.

وعليه، فالتناس مصطلح نقدي حديث، يتمثل في تعالق النصوص ببعضها بعض، «كما يبرهن على ذلك اشتقاق المصطلح نفسه، هو تبادل التأثير والعلاقات بين نص أدبي راهن ونصوص أدبية أخرى سابقة»²⁰.

وإذا ولّينا وجوهنا إلى التناس الديني نجد هذا الأخير يعدُّ عند الكثير من الشعراء مصدراً مركزياً عندهم، يستمدون منه كثيراً من الموضوعات والشخوص والرموز، والمواقف، والرؤى التي تشكل محورا مهما لأعمالهم الأدبية، التي يعبرون من خلالها عن أفكارهم وقضاياهم وهمومهم وطموحاتهم، وتجاربهم الخاصة²¹، ولعلَّ أهم مصدر موروث ديني يستند إليه الشاعرُ الحزبيُّ في تقوية معاني شعره هو "القرآن الكريم"، وهذا ما نلقيه كثيراً عند شاعرنا "فرغلي"، لاسيما وهو صاحب المعاني العميقة والاتجاه المحافظ المحدد، يقول في قصيدة له بعنوان: "محكمة الطيور" التي مطلعها²²:

حمامك حولي بديع النعم	إذا قام في الصبح يتلو القسم
وكادت «تشن حروب الدمار»	وتنذر أهل الورى بالعدم
وقد «حوريت دعوات السلام»	وزاد «التأمر» تحت الظلم
ولم يلق مشرّع سلاح	هوى في نفوس بغاة الأمم

إلى أن يقول الشاعر مفوضاً الأمر إلى ربه²³:

فماذا نقول لهذا القوي	إذا كان أعْمى شديد الصمم؟
على كل حال هناك إله	له الخلق والأمر: وهو الحكم

والحق أن التناس في هذه القصيدة متمثل في البيت الأخير، حيث حاول الشاعر في البداية أن يوضح الطلب الهام وهو "السلام"، ولما كان الرد التجاهل والرفض، لاسيما مع قوة عظيمة مثل الأمم المتحدة، الأمر الذي جعل الشاعر يفوض أمره إلى الله، وذلك بتناسه من القرآن الكريم، مع قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٥٤). [الأعراف: 54] مما زاد في قصيدته قوة في المعنى.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "ظلموك يا هذا الحمار" يرد فيها على عادة الناس في اعتبارهم أن الحمار رمزا للغباء والحمق، يقول²⁴:

أي الغباء لك تشيير	يا من يسيء لك الكثير
ظلموك يا هذا الحمار	ر، وأنت ذو شأنٍ خطير

جماليات التشكيل اللغوي في ديوان رحلة في عيون العشق لعبد
المجيد الفرغلي
الدكتور: نور الدين مزروع

من الحمار «فطانة»	أو ما يقودك في المسير
قد كان آية رحمة	للناس كان به سفير
هل جاءكم نبأ العزير	و كيف آمن بالنشور
هو والحمار كلاهما	بُعْثَا بمقدرة القدير
أرأيت كيف الله يُحمي	سي من ثوى بين القبور
وانظر إلى تلك العظا	م، وكيف ناشئها بصير؟

والقصيدة طريفة، تكاد تصلح أن تكون من الأدب الطفولي، لما فيها من توعية وتصحيح لمفاهيم خاطئة؛ حيث اعتبر الشاعر أن الحمار خير مما يظن الكثير من الناس، بل هو مصدر من مصادر الخير، ويكفيه فضلا أن قد مثله الله في شكل معجزة لبنينا عزيز عليه السلام وللناس أجمعين لتبقى معجزة مخلدة في التاريخ، يقول الله تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَالِوَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [٢٥٩] [البقرة: 259]. والأمر الملفت للانتباه في هذا التناس القرائي أنه جاء مجسد في عدة أبيات على شكل قصة قرآنية بُنِي في القارئ إثارة و شوقا في فهم معاني القصيدة، فضلا على تقوية معانيها.

ويواصل الشاعر في تناصه مع القرآن الكريم، نذكر قوله²⁵ :

والنخل يرقص للغناء	مع الطبيعة في احتيال
تختال مثل عرائس	برزت بأجسام طوال
وعقودها في جيدها	ثمر تالاً في الأعوال
أحب به ثمرأ بدا	لا يبيع فيه ولا خال

ومما لا شك فيه أن التناس مجسد في البيت الأخير؛ حيث يتناس مع قوله تعالى: (قُلْ لِّلْعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ [٣١] [إبراهيم 31].، وكل ذلك إشارة إلى مدى أهمية الثمر الذي تمتعت به عنقيد النخل.

ومن المستقطب للانتباه، أن من أنواع التناصات التي حفلت بها قصائد الشاعر " التناس الأدبي (الشعري)، هذا الأخير الذي نجده بكثرة في ديوان الشاعر، نذكر قصيدته "ويلاه يا ريفي"، مصورا حال الريف المأساوي، يقول²⁶:

في كل يوم بالعزاء قتيلا	وبكل بيت أنة وعويل
ويلاه يا ريفي الحبيب لما جرى	من حادثات وقعهن مهول!!
هذا فتى قد مرقته رصاصة	وعليه من ثوب الوقار دليل
ماذا جناه فأصبحت أشلاؤه	جزر السباع وما إليه وصول

جماليات التشكيل اللغوي في ديوان رحلة في عيون العشق لعبد المجيد الفرغلي الدكتور: نور الدين مزروع

ف ظاهرة التناص واضحة في البيت الأخير؛ إذ يتناص الشاعر من طرف خفي مع معلقة عنترة بن شداد، وهو يتحدث عن خصمه المقتول، في قوله²⁷:

فَتَرَكْتُه جَزَرَ السَّبَّاعِ يَنْشُنُهُ يَفْضَمُنْ حَسَنَ بَنَانِهِ وَالْمَعْصَمِ

لقد صوّر « فرغلي » صورةً مأساويةً لحال الطفل الريفي البريء، وذلك في شكل صورة شاة أعدت للذبح، كل ذلك جاء في صورة تشبيه ضمني، دلّ على عظم المصيبة التي حلّت بالريف، إلى درجة أنّ البراءة لم تسلم من القتل والتشنيع.

ثانيا - اللغة ودورها في بناء الصورة:

1. الانزياح التركيبي:

تعدّ الصورة الشعرية ميدان العمل التي تظهر فيه مقدرة الشاعر وبراعته في التشكيل الفني، وتمكّنه في الصنعة الشعرية، فحال النص الشعري كحال قطعة الأثاث بما فيها من صنعة تتمثل في الصورة²⁸، والشيء ذاته في الشعر، فكلّما تعمّق الشاعر في عنصر الخيال مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والمجاز، ومختلف الصور البديعية، استطاع بذلك أن يشكّل بنظمه حينها قصيدة بأحسن حُلّة يراها القارئ .

إنّ أول ما نبدؤه به تحليلنا لبعض خصائص الجمال الفنيّ والتشكيلات الصّورية للخطاب الشعري، لاسيّما ونحن نعالج ديوانا شعريا لصاحب مغمور، حاول ببراعته الفنية أن يبدع في شعره ويدهش القارئ من خلال خرقه للغة في بعض الأحيان، ومن ثم الوصول إلى الدلالة المطلوبة، مستخدما بذلك ظاهرة الانزياح التركيبي.

يتجسد الانزياح التركيبي في الكلام أو في التخاطب في كونه «أنه تركيب عمليتين متتاليتين في الزمن، ومتطابقتين في الوظيفة وهما : اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة. ثم تركيبه لها تركيبا تقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعض الآخر سبل التصرف في الاستعمال»²⁹.

والانزياح التركيبي أو كما يصطلح عليه بعض النقاد بالعدول التركيبي، يعدّ « خروجا عن النظام النحوي المألوف، وخرقا لأصوله اللغوية، لأنّ شعرية النص تنشأ من خلال كسر النمط الشائع من التركيب للتوغل في الاتساع، فتأثلف تراكيب جديدة منازحة لتشكّل عالما لا تقع على مرجعه الذي نقل النص عنه، فيتجلّى أمامك كيانا مفردا يدهشك بتجليّه وبما توحيه به عناصره في النص»³⁰. وقد يتجلى الانزياح التركيبي في ما يسمّى بالتقسيم والتأخير والحذف.

من المعروف أن النمط المثالي للجملة الفعلية والاسمية أن يُدكّر الفعل ثم الفاعل أو المبتدأ فالخبر، وهكذا، لكن ما ميز اللغة الشعرية أن أصحابها يحاولون بتشكيلهم الصوري وخيالهم الواسع أن يخرجوا عن نظام النحو المألوف وذلك من خلال التقديم والتأخير.

إن عنصر التقديم والتأخير «يمثّل عاملا مهماً في إثراء اللغة الشعرية وإغناء التحولات الاسنادية التركيبية في النص الشعري، مما يجعله أكثر حيوية ويبعث في نفس القارئ الحرص على مداومة النظر في التركيب؛ بغية الوصول إلى الدلالة»³¹، يقول الشاعر³²:

جماليات التشكيل اللغوي في ديوان رحلة في عيون العشق لعبد
المجيد الفرغلي
الدكتور: نور الدين مزروع

إن أرضاً شَرُّتْهَا بدمائي كيف يَصُمِّي بناؤها كالزَّيمِ
في يدي عقْدُها وفيها مَقامي كيف نرمي إلى عتلِّ ظُلوم

حاول الشاعر أن يصور ذكرياته مع بيته المهذوم ، فقدّم الخبر شبه جملة " في يدي "؛ على المبتدأ عقدها، الأمر الذي زاد من تأكيد الكلام. وقد يكتف الشاعر بعض الصور الجمالية التي تناسب تجاربه الشعرية، فيستعين بانزياحات تركيبية أخرى تزيد من تأكيد معناه المراد، قوله³³:

وعبر فجاج الأرض من كلِّ روضةٍ نسيم من الفردوس رُناه عاطر
وفوق بسات العشب جُنُبَ قناتِه زرايٍ قد بثت ليكرم زائر
وفي سَجعة الطير المغرَّد صائحاً رنينٌ من الأحنان والكُون سامر
وفي خفقة الأغصان والدوخ مائسٌ بقيّة أشواقٍ لهنّ بوأكر

لقد حَفَلَت هذه المقطوعة الشعرية بعدّة انزياحات تركيبية، الأمر الذي أدّى إلى خرق الكلام المألوف، فجاء المبتدأ مؤخرًا في كل أبيات هذا المقطع (نسيم، زرايٍ، رنين، بقيّة أشواق)، بينما جاء الخبر شبه جملة مقدّم: (وعبر فجاج الأرض، وفوق بسات العشب، وفي سَجعة الطير، وفي خفقة الأغصان)، منسجما مع الصورة الشعرية. مما أدّى إلى قوة تشكيّلها ووضوحها، وهكذا فكلما زادت طاقة الخيال في الشعر، وتكثفت الصور الشعرية في بناء القصيدة زيدت جمالا في الشكل وقوة في المعنى، وقد يلجأ الشاعر إلى انزياح تركيبى آخر من خلال حذف أحد العناصر الإسنادية، نذكر مقطع مستلّ من قصيدة طويلة يصور فيها براءة الطفولة. يقول³⁴:

في ثوبٍ طهرٍ للطفولة ناصعٌ ألقائِه تستسجِرُ الأبصار
في كلِّ روضٍ زهره متبسّمٌ لمس الندى شفّتيه وهو يغار

وحذف المبتدأ واضحٌ جليّ في البيت الأوّل، وتقدير الكلام " هي في ثوب طهر"، إذ تعود على الطفولة، وكل هذا عدول وخروج عن نظام اللّغة المألوف وخرق لأصولها، الأمر الذي بث خيالا واسعا في القصيدة، وفي الوقت ذاته محافظة على وزن القصيدة، بينما إذا ولينا وجوهنا إلى البيت الثاني فالتقدم بارز جليّ؛ إذ نجد أنه قدّم الخبر " في كل روض " على المبتدأ "زهرة". وهكذا فالحذف في مجمله أو « تقدم الكلمة أو تأخيرها بالنسبة إلى موضعها الطبيعي دلالة على القصر أو التفخيم، أو حسن الذوق واللياقة أو الأهمية مطلقا»³⁵.

ومن المعروف أنّ الرتبة المألوفة في الجملة الفعلية في العربية هي أن يذكر الفعل فالفاعل فالمفعول به في حال كون الفعل متعديا وبهذا تكون الجملة تامة، وكل تغيير في بناء الجملة وترتيب في عناصرها له دور في اختلاف المعنى وتعدّده، وفي هذا النمط من التقدم يتم تحويل بعض هذه الأطراف من أماكنها الأصلية التي اكتسبتها من نظام اللغة، إلى أماكن جديدة ليست لها في الأصل³⁶. ومن سياقات تقدم المفعول به على عامله نذكر: أبياتا للشاعر، وهو يصف ذكرياته وحنينه اتجاه موطنه الريف في قصيدة سلاما تراب الريف التي مطلعها³⁷:

سلاماً ترابُ الرِّيف حَيَّاكَ شاعِرُ له في حنايَاك الهَوَى والمَشَاعِرُ
مَرْجَت شَذَى عَطَرَ العَبِيرِ بَرْوَحَه ومن وحيك استوحت هُداها الخَوَاطِرُ

إلى أن يقول³⁸:

وإن خطرت أطيافُ ذكري حبيبة تحسَّستُ أعماقي وشاقت مناظر
أراها وقد راحت إليك تُثوِّدني أحاسيسُ بَحْوَى في هواها تسامر

فالشاعر في البيت الأخير استخدم إحالة رائعة الناتجة عن ضمير "الهاء" في كلمتي: "أراها، هواها" التي تعود إلى المحبوبة. فهو كلما خطرت الحبيبة باله حنَّ إلى ريفه، وإلى تلك الذكريات الجميلة معها في هذا الموطن الحبيب، ولكن الأمر الملفت للانتباه في صدر البيت الأخير قدَّم المفعول به على الفاعل "أحاسيس"، نظراً لشوقه وحبّه الشديد لمحبوبته، مما أفاد تقوية المعنى بالإضافة إلى حذف معمول الفعل "تسامر" الذي يعود على المحبوبة، مع العلم أنه يضمّ حرف الروي للقصيدة، ومن ثم فهمة الشاعر هنا تعرية اللغة واكتشاف القيمة التعبيرية في كل أجزائها التي تغطيها عادات الاستعمال اليومي وإبراز العناصر الجمالية حتى في تلك المناطق المحرّمة من اللغة التي درج الناس على تأثيم من يتعرض عليها³⁹.

2. الانزياح التصويري:

يميل النقاد السميولوجيون اليوم إلى الاعتداد بالصورة على أساس أنّها تمثيل لجميع أنواع التجارب الحسية من صوتية وبصرية تشمل اللون والذوق والشم واللمس⁴⁰، ولعلّ هذا ما نراه بوضوح عند شاعرنا من خلال براعته في جمالية الصورة الشعرية؛ وذلك من خلال تنوع الصور الحسية بشكل مكثف، فمن صور بصرية وسمعية ولمسية وشمية، الأمر الذي بث في قصائده نوعاً من الحركة الإبداعية المتجلية في أفكاره ومواقفه. ومن الواضح أن من طبيعة النصوص الوجدانية المبالغة أحياناً في وصف الشيء، مما يضفي في القصائد الشعرية خيالا شعريا مكثفاً، وهذا ما نلّفه عند شاعرنا؛ إذ نلاحظ أنّه أغدق في استخدامه الصور الشعرية بصورة واضحة ونوّع في تشكيلاتها. فمن نماذج ذلك نذكر بيتين لقصيدة له "بين أحضان الطبيعة"، قوله⁴¹:

ولقد دنا وقت الحصاد وقد تأقبت الرجالُ
والقمح جيشٌ خاضع هو والمناجلُ في نزال

لقد نظر الشاعر إلى أجمل منظر وأعظمه هو منظر الحصاد، إذ صوّر حال السنابل وهي كثيفة كأنها جيش ضد مناجل الحصادين على سبيل تشبيه بليغ، ليشكل لنا الشاعر في الأخير صورة شعرية جمالية رائعة، وهنا تكمن فائدة التشبيه؛ إذ يخرج الأغمض إلى الأوضح ويقرب البعيد ويفيد العبارة بياناً⁴². ثم يتناول الشاعر صورة بيانية أخرى في أكمل الروعة جسّدتها كلمة "النزال" على سبيل استعارة مكنية مما أضفى للصورة الشعرية في البيتين قوّة في المعنى ومبالغة في الوصف، وأوحى في الوقت ذاته بعظمة الخير الذي تمتعت به طبيعة بلاده.

وعليه، يتجلى أثر الاستعارة في هذا البيت؛ إذ «تصور اللفظة موحية لأنها أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس، وتصور منظر للعين، وتنقل الصوت للأذن، وتجعل الأمر المعنوي ملموساً محسوساً»⁴³.

جماليات التشكيل اللغوي في ديوان رحلة في عيون العشق لعبد المجيد الفرغلي الدكتور: نور الدين مزروع

ولعلّ ما ساعد الشاعر في تشكيل صورته بهذا الجمال الطافح والإبداع الباهر استخدام ظاهرة أنسنة الطبيعة وهي خاصية جمالية بارزة من خواص الأدب والفن، وتعني أن يقوم الأديب أو الفنان بنقل صفات البشر كالتفكير والكلام والحركة إلى الكائنات الأخرى مثل الحيوانات أو الزمان أو الجماد، إذ يقوم الشاعر من خلالها بإسقاط ما يجول في نفسه من مشاعر وأحاسيس على تلك الكائنات، لكون الأنسنة أكثر تأثيراً في المتلقي ومن ثم أكثر توصيلاً لرسالة المبدع⁴⁴، وهذا ما نراه عند شاعرنا بوضوح، حين التفت إلى بعض المناظر الطبيعية التي شدّت انتباهه، يقول⁴⁵:

كَم مِنْ هَـارٍ مَشْرِقٍ	أَضْفَى عَلَى الدُّنْيَا جَمَالَ
غَنَى السَّرُورُ بِهِ عَلَى	غَصَنَ الزَّمَانِ وَلَا يَزَالُ
مَسَحَ الْهَمُومَ بِكَفِّهِ	وَشَفَى الْعِيْلَ مِنَ الْعُضَالِ
وَالنَّخْلَ يَرْفُصُ لِلْغِنَاءِ	مَعَ الطَّبِيعَةِ فِي اخْتِيَالِ
وَعَلَى الرَّؤُوسِ قَبَابِهِ	خَضِرَاءَ مَائِسَةِ الضَّلَالِ
تَخْتَالُ مِثْلَ عَرَائِسٍ	بَرَزَتْ بِأَجْسَامِ طُـوَالِ

حاول الشاعر في قصيدته أن يصوّر الطبيعة بأجمل المناظر، فالنهار بإشراقه زاد من جمال الطبيعة، ثم لا يبرح في توظيف الأنسنة، فصوّر السرور والنخل على هيئة إنسان، فالأول يغني، والثاني كأنه طبيب له كف يمسح بها الهموم ويشفي المرضى من داء العضال، بينما النخل شامخ تحركه الرياح هنا وهناك، كأنه يرقص فرحاً بهذه الحياة، كل ذلك في مجال البناء الاستعاري. ، وبهذا تتجلى ظاهرة الأنسنة ودور الاستعارة من خلال إيجائها بعظمة الذوق والدلالة على جوهر اللفظ لتتصل في النهاية إلى إفادة المقاصد التي تبرر المعنى وتجليه⁴⁶.

خاتمة:

- اعتنى الشاعر بمختلف التراكيب الأسلوبية والتنويع فيها، موظفاً عدة حقول دلالية، ناهيك عن استخدام الشاعر ظاهرة التناس، وما يجري في بناء الصورة الشعرية من مختلف الانزياحات التركيبية والصورية.
- يتجلى فهم الشاعر الحقيقي للجمال؛ حيث وضع لنفسه مقاييس جمالية خاصة هي الأحسن والأمثل في تصوره.
- انقسم تشكيل الشاعر للصور الشعرية وتنويعه في أنماطها إلى قسمين:

أ/ ملائمة الشاعر تجربته الشعرية الوجدانية التي يعيشها.

ب/ سير الشاعر في نظمه للصور الشعرية على منوال القدماء، محافظاً على خصائص نظام القصيدة القديمة، فكان بذلك إبداعه إنتاجاً وإعادة إنتاج.

- استطاع الشاعر بأسلوبه الفني أن يعبر عن تجربته الوجدانية ويوصلها في الأخير إلى القارئ بمختلف التشكيلات اللغوية.

الهوامش:

¹ لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، دار المريخ للنشر، (الرياض)، سعودية، [دط]، 1989، ص: 08.

جماليات التشكيل اللغوي في ديوان رحلة في عيون العشق لعبد المجيد الفرغلي الدكتور: نور الدين مزروع

- ² ينظر: محمد عبدو فلفل، في التشكيل اللغوي للشعر، مقاربات في النظرية والتطبيق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، (دمشق)، سوريا، [دط]، 2013م، ص: 13.
- ³ ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو، المصرية، (القاهرة)، مصر، ط2، 1952، ص: 5.
- ⁴ السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية)، مصر، ط1، 2005م، ص: 5.
- ⁵ ينظر: عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار غيداء للنشر والتوزيع، (عمان)، الأردن، [دط]، 2012م، ص: 311.
- ⁶ ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، (القاهرة)، مصر، ط1، 1998م، ص: 263.
- ⁷ عبد المجيد فرغلي: واسمه الكامل عبد المجيد فرغلي محمد الرفاعي المعروف بالخيالي، ولد سنة 1932م بقرية النخيلة، بصعيد مصر، عاش حياة ريفية بسيطة مجنب والديه، توفي سنة 2009م، تاركاً وراءه كمّاً زاخراً من الشعر. ينظر: عماد الدين عبد المجيد، عبد المجيد فرغلي سيرة ومسيرة، دار يسطرون للطباعة، والنشر والتوزيع، (القاهرة)، مصر، ط4، 2017م، ص: 5.
- ⁸ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992، ص: 58.
- ⁹ عبد المجيد فرغلي: رحلة في عيون الشوق، إعداد وتقديم عماد الدين عبد المجيد فرغلي، مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة)، مصر، 2017م، ص: 632.
- ¹⁰ عبد المجيد فرغلي، الديوان، ص: 628.
- ¹¹ المصدر نفسه: 532.
- ¹² المصدر نفسه، ص: 532.
- ¹³ المصدر نفسه، ص: 85.
- ¹⁴ المصدر نفسه، ص: 79.
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص: 82، 83.
- ¹⁶ المصدر نفسه، ص: 362.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص: 787.
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص: 787، 788.
- ¹⁹ ينظر: عبد المالك بومنجل، تجربة نقد الشعر عند عبد المالك مرتاض، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015، ص: 102.
- ²⁰ عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط3، 2015، ص: 260.
- ²¹ ينظر: مصباح أحمد صادق، التناص في شعر أبي الطيب المتنبي، المجلة الليبية العالمية، جامعة بنغازي، ليبيا، العدد السادس، مارس 2016م، ص: 08.
- ²² عبد المجيد فرغلي، الديوان، ص: 689-691.
- ²³ المصدر نفسه، ص: 692.
- ²⁴ المصدر نفسه، ص: 700، 701-703.
- ²⁵ المصدر نفسه، ص: 544.
- ²⁶ المصدر نفسه، ص: 726، 727.
- ²⁷ عنتر بن شداد، شرح ديوان عنتر للتبريزي، تحقيق مجيد طراد، دار كتاب العربي، (بيروت)، لبنان، ط1، 1992م، ص: 174.
- ²⁸ عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، (القاهرة)، مصر، ط3، 1974م، ص: 218.
- 219.

جماليات التشكيل اللغوي في ديوان رحلة في عيون العشاق لعبد
المجيد الفرغلي
الدكتور: نور الدين مزروع

- ²⁹ البار عبد القادر، الانزياح في محوري التركيب والاستدلال، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد التاسع، 2010م، ص48.
- ³⁰ عبد الله خضر حمد، أسلوبية الانزياح التركيبي في شعر المعلقات، دار عالم كتب الحديث، (أريد)، الأردن، ط1، 2013م، ص: 66.
- ³¹ المصدر نفسه، ص67.
- ³² عبد المجيد فرغلي، الديوان، ص: 165.
- ³³ المصدر نفسه، ص: 539.
- ³⁴ المصدر نفسه، ص: 387.
- ³⁵ أحمد شايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية، للأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1991م، ص: 197.
- ³⁶ ينظر: عبد الله خضر حمد، أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، ص: 73.
- ³⁷ المصدر نفسه، ص: 537.
- ³⁸ المصدر نفسه، ص: 537.
- ³⁹ ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص: 267.
- ⁴⁰ ينظر: المصدر نفسه، ص: 239.
- ⁴¹ عبد المجيد فرغلي، الديوان، ص: 545.
- ⁴² ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، دمشق، سوريا، ط5، 1981م، ج1، ص: 287.
- ⁴³ ينظر: نور الهدى حسني، البلاغة والأسلوبية اللغوية، دار عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط1، 2018م، ص: 105.
- ⁴⁴ عبد الله خضر حمد، الانزياح التركيبي في شعر المعلقات، ص 178.
- ⁴⁵ عبد المجيد فرغلي، الديوان، ص: 544.
- ⁴⁶ ينظر: نور الهدى حسني، البلاغة والأسلوبية اللغوية، ص 105.